الصفحة التاريخية التي عمل فيها جيش الانقاذ ما لم تعمله بقية الجيوش واضاع اكثر من نصف موجوده من شهيد وجريح وأتى بتلك البطولات التاريخية ... ان قيمة كفاح هذا الجيش وتأثيره لا يمكن تقديره الا عندما يدون تاريخ الكفاح العربي بقلم وضمير منصف فعندها فقط تظهر حقيقة البطولات والتضحيات المتفجرة عن عقيدة عربية وايمان خالص بقدسية الاوطان العربية والتي كان يحملها كل فرد من أفراد هذا الجيش »(١٤٤).

والثاني ينظر الى الجيش نظرة سلبية الى أقصى الحدود واذا كانت هذه الدراسة قد نقلت آراء السباعي والشريف ، وفيها الكثير من التحامل وافتقاد الروح الموضوعية فان هناك آخرين تجنوا على الانقاذ وظلموه . فالعارف يرى ان الانقاذ « خيب آمال الامة العربية فيه . فلم يأت بأي عمل يذكر . لا بل انه فشل في مهمته فشلا ذريعا ... وكيف يرجى الخير من جيش كهذا ، قوامه خليط من الناس ، لا يجمعهم جامع ، ولا يردعهم رادع . وليس لهم مثل أعلى يجاهدون في سبيله صفا واحدا ويدا واحدة ... ان رجال جيش الانقاذ اساءوا للناس اكثر من احسانهم اليهم ... »(١٤٥). كذلك تتحامل «جمعية انقاذ فلسطين » في بغداد على هذا الجيش اذ تراه « نجح في ايجاد دعاية واسعة له كما نجح في الحصول على أكثر مساعدات اللجنة العسكرية والذي كان بالامكان ان يقوم بأعمال جليلة الشأن ، بعيدة الاثر ، وان يحول دون سقوط كثير من المواقع في أيدي اليهود ، ان هذا الجيش كان في كثير من مواقفه وتصرفاته مجانبا للمصلحة الوطنية ... مما نعتبر ان قيادته مسؤولة عن ذلك ... »(١٤٦). ولكن في هذه الاقوال الكثير من الظلم والتجني ، فالانقاذ قاتل كما قاتلت الجيوش العربية ، بل انه قاتل احسن وأفضل من قتال بعضها في تلك الفترة ، لهذا لا يمكن ان توجه مثل هذه الاتهامات لمثل هذه الوحدات التي شكلت الانقاذ ، ولعل بعضها أدى واجبه بشكل مثالي وانموذجي ، وما كان بوسعها ولا بوسع غيرها ان يقوم بأفضل مما قامت به بعض وحدات الانقاذ في تلك الظروف .

وبعد .. هل كان الانقاذ جيشا نظاميا ؟ أم كان مجموعات من المقاتلين غير النظاميين ؟ أم كان عصابات تحرير وطني ؟

يرى القصري ان الجامعة العربية « جمعت بعض المتطوعين وباشرت بتدريبهم وتسليحهم على عجل وشكلت منهم وحدات عسكرية شبه نظامية . وبمدة شهر أرسلت قسما منهم الى ميادين القتال . والحقيقة لم يكن لدى هؤلاء المتطوعين الاستعداد الكافي ليقاتلوا كوحدات نظامية او كوحدات غير نظامية لان العدو كان مدربا ومسلحا يجب ان يقابل بقوة أشد منه »(١٤٧).

والواقع فان قوات الانقاذ بحكم تكوينها ونوعية تدريبها وتسليحها كانت في الحقيقة تفتقد الكثير من متطلبات الجيش النظامي . فهي عمليا كانت من حيث المقاتلين والبناء والتدريب والتسليح والكوادر دون الجيوش النظامية التقليدية بكثير . ولكنها في الوقت نفسه رغم كونها ليست عصابات تحرير وطني الا أنها أخذت من عصابات التحرير الوطني (وهي عادة نواة جيوش التحرير أو الجيوش الشعبية الثورية) مبرر وجودها ، اي الهدف السياسي الذي جمع افرادها لحمل السلاح ، أي ان الانقاذ تشكل بقصد تحرير ارض الوطن وانقاذ شعبه من الاستعمار والصهيونية . وعلى هذا فان قوات الانقاذ كانت قوات شبه نظامية وكان من الممكن ان تتحول بارتفاع مستوى تدريبها وضبطها وتسليحها لتكون كالقوات النظامية ، وكان من الممكن أيضا ، لو استمر القتال ضد الصهاينة وتوفرت قيادة سياسية عسكرية اكثر تقدما وتفتحا ، ان تتحول ، خاصة لو التقت كوادرها مع كوادر الجهاد المقدس ، لتتحول الى جيش شعبي ثوري .

ولكن السؤال الاهم هو هل فشل الانقاذ ولماذا ؟ وقد يكون في الجواب على هذا التساؤل بعض الجواب على سبب الفشل في مواجهة الصهيونية في معاركنا العديدة السابقة .